

تكوين الأسرة المسلمة والبيت المسلم



« الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير المرين وأستاذ المؤدين والمعلمين وعلى آله وصحبه الكرام ومن سار على نهجه بإحسان إلى يوم الدين. وبعد: فإياها القارئ الكريم/ انّ الأسرة هي الخلية الأساسية التي يتركب منها جسم المجتمع الكبير، وما المجتمعات إلا مجموعة أسر تعيش معاً، ترتبط فيما بينها بقوانين وأنظمة تحكمها، وبذا تتكون الدولة ويكون الوطن. فإذا كانت الخلية الأساسية (الأسرة) سليمة قوية كان المجتمع كلاًه سليماً قوياً، وإذا كانت الأسرة مفككة في علاقاتها، متباينة في الفكر والسلوك، انعكس ذلك كلاًه على المجتمع فأصبح مفككاً مهزوزاً ومهزوماً، ولقد اهتم ديننا الحنيف بمراحل بناء الأسرة حتى تستقيم مهامها وتؤدي ثمارها كخلية صالحة في المجتمع ليصلح المجتمع كله. وأوّل مراحل بناء الأسرة هو اختيار الزوجة، حيث إنّها أهم ركن من أركان الأسرة، إنّها المنجبة للأولاد، وعنها يرثون كثيراً من المزايا والصفات، وفي أحضانها تتكون عواطف الطفل وتتربى ملكاته، ويكتسب كثيراً من عاداته وتقاليده، ويتعرف دينه، ويتعود منها السلوك الاجتماعي إلى حد كبير. وإنّ رسول الله (ص) قد أرشدنا لأن ننتقي الأزواج فنختار الأفضل منهنّ، صاحبة الدين والخلق، قال (ص) "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاطفر بذات الدين تربت يداك". ومعنى ذلك أنّ الناس يقصدون في العادة من المرأة هذه الخصال الأربع، فاحرص أنت على ذات الدين واطفر بها واحرص على صحبتها والزواج منها. فاختيار الزوجة الصالحة أول خطوات السير الصحيح لبناء الأسرة القوية

المتحابة المترابطة، القادرة على تنشئة الأبناء نشأة سليمة، حيث تربيههم على أدب الإسلام وتصلحهم بالإيمان وبمثل هذه الأسرة يقوم المجتمع كله على أساس كريم وبناء متين، يضطر كل من يعيش فيه أن يتخلق بعاداته ويتأدب بآدابها. ولما كانت تربية الأطفال هي الخطوة الأولى التي تبدأ بها الأسرة مهماتها، لذا فلا بدّ من العناية التامة بتلك الغراس الصغيرة واللبات اللينة حتى تشب على أساس متين وفكر سليم وسلوك قويم، وصدق رسول الله ﷺ في قوله: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول". فالطفل بجوهره خلق قابلاً للخير والشر جميعاً، وانما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين، قال (ص): "كل مولود يولد على الفطرة، وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه". والأولاد والزوجة إنما هم أمانة عند الآباء، وفي صحائفهم يكتب ما يفعلون، وإنهم عند الله تعالى عنهم المسئولون، فحذار من ضياعهم وإهمالهم. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا آلَكُمْ وَلَا رُسُلَهُمْ وَلَا تَمْنُوا كَيْدَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَتَوَلَّوْا الْكُفْرَ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (النفال / 27-28). ولكي يكون البيت مسلماً حقاً والأسرة التي تملؤه قوة متحابة، لا بدّ أن تكون أعمالهم نموذجاً عملياً لما يطلبه الإسلام، وقدوة حسنة لمن حولهم من الجيران، وعلى المسلم أن يستشعر عظم مسؤوليته تجاه أهل بيته وإنهم أمانة في عنقه، وعليه أن يتقي الله فيهم رعاية وعناية وتربية وسلوكاً، يقول (ص): "كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته". وبما إن الأمر بهذه الخطورة فأليك بعض التوصيات الخاصة بالبيت المسلم في مختلف الجوانب، آملين أن يتدارسها الآباء والأبناء والأمّهات بعناية ودقة، ويقوموا بالعمل على تحقيقها في بيوتهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، راجين أن يكون فيها الفلاح والصالح في الدنيا والآخرة: ففي الجانب التعبدي: • أن يقوم الأفراد المكلفون بأداء الفرائض في أوقاتها، وأن تؤدي الصلوات في جماعة في بيوت الله ما أمكن، لقوله تعالى: (إِنَّ زَمْزَمَ يَعْزُمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (التوبة / 18). • أن يخص كل فرد في الأسرة من البالغين كلّ يوم وقتاً لتلاوة جزء من كتاب الله تعالى، لوصية رسول الله ﷺ (ص): "اقرأ القرآن في شهر" قال رجل: يا رسول الله! إنني أجد قوة، قال: "اقرأه في أسبوع...". فعلى المسلم أن يقرأ في كلّ يوم جزءاً، فإذا تعسر ذلك يتلو بعضه، وعلى مسمع من أهل البيت جميعاً لكسب الثواب وبركة القرآن الكريم. • أن يعتاد أفراد الأسرة على صيام التطوع ولو يوماً في الأسبوع على الأقل. • أن يعوّد الرجل أهله على قيام

الليل ولو مرة في الأسبوع كذلك. • أن يكون الرجل قدوة لزوجته وأبنائه وسائر أهله في الالتزام بالعبادات والمداومة عليها في أوقاتها. • أن يعلاّم الرجل أهله وأبنائه بعض الأذكار الواردة عن رسول الله (ص) في المساء والصباح وحين الحاجة، مع صدق التوجه إلى الله تعالى عند الدعاء، والاستعانة بالله وحده لا شريك له. أما في الجانب السلوكي: • فيلزم رب الأسرة أن ينفّر أهله ويحذرهم من سائر العيوب الاجتماعية السارية والتي حذر منها الإسلام، كالغيبة والنميمة والشتيم والسخرية من الآخرين وإيذائهم والكذب وغير ذلك، لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَرْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (الحجرات/ 11). • الزام أهل بيته من الإناث بارتداء الزي الشرعي الكامل والظهور بمظهر القدوة الحسنة للناس وتعويدهن على ذلك منذ الصغر، والأدلة على ذلك ظاهرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله. • تعويد أهل بيته الآداب الإسلامية في الأكل والشرب، كالأكل باليمين والبدء باسم الله، لتوجيه رسول الله (ص) لأحد أصحابه "سم" الله وكل يمينك وكل ما يليك"، وكذلك تعليمهم أدب المعاملة مع الآخرين، مثل طرح السلام والإحسان إلى الناس وصلة الأرحام واحترام الكبير والعطف على الصغير وأدب الاستماع ونحو ذلك. • أن يعوّد أهل بيته الصدق والصراحة في القول مع مراعاة الأدب في ذلك، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة/ 119). • أن يحذرهم المجالس المختلطة ويرشدهم إلى الابتعاد عنها ما أمكن، ويراقب سلوك الأبناء خارج البيت ويتابع تصرفاتهم ويسأل عنهم ويتعرف على أقرانهم وأصدقائهم ونوعياتهم، فيحذرهم من مخالطة الأشرار ويحثهم على مصاحبة الأخيار حفاظاً على أخلاقهم وسلوكهم. في الجانب الثقيفي: • على رب الأسرة أن يعمل على تزويد بيته بمكتبة ثقافية هادفة تتناسب مع مستوى الزوجة والأبناء ما أمكن، فيحرص على تزويدهم بالمجلات الإسلامية النافعة والكتب الثقافية الهادفة، إضافة إلى كتب في الفقه الميسر والحديث الشريف والسيرة النبوية. • تخصيص وقت في الأسبوع ولو مرة واحدة تلتقى فيه الأسرة على مدارسة موضوع فقهي أو تربوي هادف. • أن يكون الأب ضابطاً حازماً عند استخدام جهاز التلفاز بحيث يمنع مشاهدة ما تضرّ مشاهدته من برامج وأفلام وأغانٍ لا تتناسب مع أدب الإسلام وأخلاقه. • أن يعود أهله على استماع الأخبار المحلية والدولية لتكوين وعي عام عندهم عما يجري في العالم، وكذلك يحثهم على سماع البرامج العلمية والثقافية الهادفة. • يحذر أهله أماكن الفساد، كالسينما ودور اللهو وكل مكان فيه

شبهة تجر إلى الفساد والردائل. • يحذرهم من التقليد والتشبه بغير المسلمين في عاداتهم وسلوكياتهم، لأنّ من تشبه بقوم فهو منهم، سيما ما يقام من أعياد الميلاد لأفراد الأسرة أو عيد الأم أو نحو ذلك، ومحاربة مثل هذه البدع والعادات الدخيلة ومحاولة طمسها من المجتمع، وتبصير الناس بأنّ هذه الأعياد وهذا السلوك تشبّه بغير المسلمين، وقد نهانا الإسلام عن التشبه بهم فقال (ص): "من تشبه بقوم فهو منهم". وفي الختام أوجه إليك يا أخي، بل أذكرك بنداء الله تعالى لك في كتابه العزيز، لتستيقظ إن كنت في غفلة من أمرك، فتتعرف مهمتك في الدنيا ومسؤوليتك يوم لقاء ربك، يقول جلّ جلاله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَزْوَاجَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ذَرُوا مَوَدَّةَ الدُّنْيَا وَالْجَارَ الْعَلَايَهَا مَلَالِكَةً غِلَاطٌ شَدِيدٌ لَا يَعْمُرُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (التحریم/ 6). هذه نصيحتي إليك أيها القارئ الكريم، وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. المصدر: مجلة هدي الإسلام/ العددان الأول والثاني لسنة 1992م